

كتابات الرحالة عن الصومال

الرحالة المسلمون نموذجا

د/هند فرحان سيد محمد أبو النجا

دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة عين شمس

تعتبر كتابات الرحالة المسلمون من أهم المراجع الأساسية لمعرفة تاريخ الصومال بحكم اتصال العرب بمنطقة شرق أفريقيا وعلاقاتهم التجارية القديمة إلا أن المؤرخين والجغرافيين العرب لم يقدموا معلومات واضحة شافية عن تاريخ ما يعرف اليوم بالصومال ومدنها وقبائلها إبان الفترة التي سبقت دخول الإسلام في تلك المنطقة الا النزير اليسير، وبعض الملاحظات العارضة، وهذه الملاحظات ذاتها لا تتناول الحالة الدينية والسياسية والاجتماعية وانما تقتصر على تدوين بعض أسماء المدن ومواقعها وحدودها، ولم تشر إلى نشأة هذه المدن وتطورها التاريخي ومظهرها العمراني وحجمها السكاني. وكذلك لا نبالغ إذ قلنا لم تتوفر معلومات تاريخية معتمدة حول المدن الصومالية الا ما كتبه المتأخرون من المؤرخين والجغرافيين العرب ، من أمثال ابن فضل الله العمري من القرن الثامن الهجري والمقريري من القرن التاسع الهجري، وياقوت الحموي من القرن السابع وابن بطوطة من القرن الثامن الهجري، وأن هؤلاء أنفسهم تناقلوا الأخبار والآثار فيما بينهم، غير ان المؤرخ والجغرافي ابو حسن المسعودي الذي عاش في القرن الثالث الهجري ذكر شئيا متميزا عن سواحل الصومال⁽¹⁾

ومن المعروف أن العرب كانت لهم صلات وعلاقات تجارية مع شرق افريقيا قبل الإسلام ، وأقاموا مراكز تجارية في المناطق الواقعة على طول السواحل والداخل وأن هذه العلاقة تواصلت وتززت بعد الإسلام واخذت طابعا دعويا إلى جانب طابعها التجاري، لدعوة السكان المحليين الي الإسلام، ومع مرور الوقت تحولت هذه المراكز التجارية الي مستعمرات، تبعثها او رافقتها هجرات عربية و فارسية اخري مثل هجرة اتباع زيد بن علي زين العابدين وكذلك هجرة الأخوة السبع الذين فرو من بطش الأمويين بعد مقتل إمامهم زيد الي شرق افريقيا وأقاموا مدنا على السواحل من الإحساء عقب حروب القرامطة مع العباسيين وسيطرة القرامطة على الإحساء واجزاء كبيرة من الجزيرة العربية. وهناك أيضا جماعة جاءت من فارس الشيرازيين واخري من

(1) خالد إبراهيم : لمحات حول تاريخ المدن والقبائل الصومالية ،جريدة الصومال اليوم (اون لاين)،22 يناير 2021

خراسان من مدينة نيسابور، وهذ يدل علي ان العناصر العربية والفارسية لهم دور محوري في عمارة المدن الساحلية، والطراز المعماري العربي (والفارسي بشكل محدود) ، وهناك نقوشات وكتابات في بعض مساجد مقديشو و مركة وبراو، وبعض القبور التي تعود لهذه العناصر، اقدم كتابة مؤرخة وجدت في مقديشو وهي تاريخ بناء مسجد او تاريخ وفيات والتي تعود للقرن السادس الهجري، وقد جمع الإيطالي انريكو جرولي عدة مخطوطات عربية في مقديشو منها وأهمها وثيقة اتفاق قبائل مقديشو لاختيار سلطان لهم بعد ان ظلوا ثلاثة قرون بدون سلطان وكان يدير أمورهم شيوخ القبائل كل قبيلة لها شيخها،

مدن الصومال في كتابات الرحالة

عرف المسلمون شرق افريقيا بأسماء عدة منها الحبشة المعروفة، وبلاد البربر وهو ما يعرف اليوم بالصومال ويحدها جنوبا مدينة براوة، وبلاد الزنج من براوة الي سوفيالا والجزر البحرية .

أولاً مقديشيو :

بحلول موعد ظهور الرحالة ابن بطوطة على السواحل الصومالية في 1331، كانت المدينة في أوج ازدهارها. ووصف مقديشو بانها "مدينة كبيرة للغاية" ينتشر فيها العديد من التجار الأغنياء، حيث كانت تشتهر بتصدير النسيج ذا الجودة العالية إلى مصر وأماكن أخرى. وذكر ابن بطوطة أن حاكم المدينة سلطان صومالي الأصل، ويتحدث كلاً من الصومالية -التي سماها ابن بطوطة بالمقديشية -واللغة العربية بطلاقة ووضح أن السلطان يرافقه حاشية تضم الوزراء والمستشارين القانونيين والقادة العسكريين

ووصف نظم الحكم والمجتمع والعادات والتقاليد لسكان المدينة، واحتفاءهم بالفقهاء والزوار وأهل العلم؛ حيث قال في رحلته المعروفة "تحفة النظار":

ووصلنا مقديشو وضبط اسمها بفتح الميم وإسكان القاف وفتح الدال المهمل والشين المعجم وإسكان الواو، وهي مدينة متناهية في الكبر⁽²⁾

(2)د/بشار اكرم جميل: دور البلدانين المسلمين في تدوين حضارة أفريقيا ابن بطوطة انموذجاً ،مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية،مج23، عدد2016،5، صص3-5

، ويواصل حديثه عن الاستقبال والحفاوة التي لقيها» : إنه لما صعد الشبان المركب الذي كنت فيه جاء إلي بعضهم، فقال له أصحابي: هذا ليس بتاجر وإنما هو فقيه؛ فصاح بأصحابه، وقال لهم: نزيل القاضي! وقالوا لي: إن العادة هي أن الفقيه أو الشريف أو الرجل الصالح لا ينزل حتى يرى السلطان، فذهبت معه إليه كما طلبوا«...»، ثم يسرد ابن بطوطة ما حدث في حديث مطول عن كرم الضيافة الذي كانوا فيه عند أهالي مقديشو لمدة ثلاثة أيام⁽³⁾. و يقول ابن بطوطة :

"لما كان اليوم الرابع جاءني الأفاضل والطلبة وأحد وزراء الشيخ السلطان وأتوني بكسوة، وكسوتهم فوطه خزّ يشدها الإنسان في وسطه وذراعه من المقطع المصري مغلقة وفرجية مبطنه وعمامة مصرية، كما أتوا لأصحابي بكساء، ثم أتينا الجامع، فسلمت على السلطان، ثم قال باللسان العربي: قدمت خير مقدم، وشرفت بلادنا، "

بينما وصف ابن سعيد نيل مقديشو وعن مساره، ويقول "ونيل مقديشو لا يزال يصعد في هذا الجزء حتي عرض ١١ درجة حيث الطول ٦٦ درجة ثم ينحدر علي شرق بربرة ويبقى بينها وبينه نحو درجة ثم ينحدر علي شرقي مقديشو . "وكذلك موقع مدينة مركة لم يوضح موضعها بالنسبة لمقديشو هل هي عن شمالها ام جنوبها، ويقول ابن سعيد بعد حديثه عن جبل حافوني "وفي شرقيه من بلاد بربرا المشهورة علي البحر مركة حيث الطول ٦٩ د وثلاثون دقيقة والعرض درجة وعشرة دقائق، وأهلها مسلمون وهي قاعدة الهاوية التي تنوف علي خمسين قرية، وهي شاطئ نهر يخرج من نيل مقديشو وينصب علي مرحلتين من المدينة في شرقيها، ومنه فرع يكون حوض مركة، وفي شرقي ذلك مدينة الإسلام المشهورة في ذلك الصقع والمترددة الذكر علي السن المسافرين وهي مقديشو حيث الطول ٢٧ درجة والعرض درجتان، وهي علي بحر الهند ومرساها غير مأمون الأنواء ."

علي الحالة التي نعرفها اليوم بكلتا المدينتين ومواقعها الجغرافي، والنهر الذي يمر قريب منهما الا هو نهر شبيلي، يظهر لنا جليا أن هذا الوصف غير دقيق وغير ممكن، والغريب في الأمر إقحامه بربرة عند ذكر مسار نيل مقديشو، ومن المعروف أن بربرة بعيدة عن مقديشو ونيله، وكذلك الحال لمركة التي نعرفها اليوم بالنسبة لجبل حافوني بعيدة عنه، اللهم اذا كان يقصد من وجه المقاربة والنسبية، وأما الهاوية لا تقل إشكالية من نيل مقديشو حيث أن الإدريسي جعل قري الهاوية عند جبل حافوني، بينما ابن سعيد يجعل قاعدتها مدينة مركة، يحتمل ان الهاويه خلال مائة

(3) رمضان هداجي: أفريقيا جنوب الصحراء في كتابات الرحالة المسلمين في العصور الوسطى القرن 8 هجري -14 ميلادي ابن بطوطة نموذجاً، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية ، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، قسم التاريخ، 2018-2019، ص17

وعشرين سنة التي تفصل بين الإدريسي وابن سعيد توسعت جنوبا الي أن انتشرت في مركة، وايضا يبدو أن خلال هذه الفترة تأسست مدينة مقديشو، عدم ذكر الإدريسي مقديشو في كتابه يجعلنا نؤمن انها لم تؤسس بعد، لأنه من المستبعد عدم ذكرها لو عرف بوجودها .

ويقول ياقوت الحموي في معجم البلدان، في حديثه عن مقديشو: مقديشو هي أول بلاد الزنج في جنوب اليمن في بر البربر في وسط بلادهم، وهؤلاء البربر غير البربر الذين هم بالمغرب، هؤلاء سود يشبهون الزنج جنس متوسط بين الحبشة والزنج، وهي مدينة علي ساحل البحر وأهلها كلها غرباء ليسوا سودان ولا ملك لهم إنما يدير أمورهم المتقدمون علي إصلاح لهم، وإذا قصدهم التاجر لا بد له من ان ينزل علي واحد منهم ويستجير به فيقوم بأمره، ومنها يجلب الصندل والابنوس والعنبر والعاج .

في فترة حكم سلطان ابوبكر شهدت مقديشو نموا وازدهارا كبيرا في العمران والتجارة والصناعة، وذاع صيتها في الآفاق ووصلت ازهي عصرها وكانت تصدر منتجاتها الصناعية والزراعية الي مصر والجزيرة العربية، وجزر المحيط الهندي كجزر مالديف .

وظل حال مقديشو مزدهرا يقصده الناس من كل حذب وصوب ونالت شرف اللقب بمدينة المسلمين، الي ان جاء البرتغاليون الي سواحل شرق افريقيا، واستولوا علي اهم مدنها ما عدا مقديشو، وأثناء ذلك بدأت قوة سلطنة مقديشو ومعها الاجوران التي كانت تحمي مقديشو من الخارج في الأراضي الداخلية تتلاشي بسبب توقف التجارة علي سواحل شرق افريقيا علي خلفية سيطرة البرتغاليين عليها والحصار الذي فرضوه علي ميناء مقديشو، وايضا بسبب الحروب والنزاعات التي دارت بين القبائل المحيطة بمقديشو، وبهذه الأسباب وغيرها أدت الي أفول نجم سلطنة مقديشو ومعها الاجوران. وبهذا دخلت مقديشو مرحلتها المظلمة وانحطاطها بسبب تسلط البدو عليها، والصراعات الدولية في شرق أفريقيا ومحيط الهندي .

ويقول أبو الفداء: إن (مقديشو) تطل على بحر الهند وأهلها مسلمون، ولها نيل عظيم يشبه نيل مصر في زيادته في الصيف. وقد ذكر أنه يخرج شقيماً لنيل مصر من بحيرة (كورا) ويصب بالقرب من (مقديشو) في بحر الهند. و(مقديشو) مدينة كبيرة بين الزنج والحبشة، وموقع (مقديشو) من أصلح مواقع الساحل لرسو السفن. وقد عرفه المصريون القدماء، وأهل بابل وأشور. والفينيقيون والرومان، وكان يعرف عند الإغريق منذ ألفي عام باسم (سيرابيون Serabion) وعرف في العصور الوسطى باسم (حمر Hamer) وقد أتاح لها هذا الموقع القريب من خليج

عَدَن) التحكم في مدخل البحر الأحمر إلى حد كبير، والسيطرة على الحركة التجارية في المحيط الهندي. فكانت ترد لهذه النقطة سفن الجزيرة لعربية محملة بأنواع المنتجات والسلع، وتأتي سفن الهند وغيرها من بلدان آسيا عبر المحيط الهندي، وتنقل هذه المنتجات إلى الحبشة وعبر البحر الأحمر إلى مصر شمالاً وجنوباً حتى (سوفالالا).

أما عن أقسام المدينة وأحيائها، فقد كانت (مقديشو) في بداية نشأتها تتكون من ضاحيتين أساسيتين هما ضاحية (حمروين) وضاحية (شغفاني) وكانت ضاحية (حمروين) تمتد على طول الساحل من (كران) إلى ساحل حمر، أي المكان المعروف باسم (حمر جب) أما ضاحية (شغفاني) فهي مشتقة من اسم حي كان في (نيسابور) ببلاد فارس، وقد سميت بهذا الاسم تخليداً لذكرى أهل (نيسابور) القاطنين في (مقديشو). وكلمة (حمروين)، مركبة من كلمتين عربية وصومالية: ف (حمر) معناها ذهب، وكلمة (وين) معناها بالصومالية كثير أو كبير.

ثانياً: بربرة

بَرَبْرَه بفتح الباء والراء المهملة الساكنة ثم باء ثانية وراء أيضاً وهاء في الآخر ساكنة ، أو بألف مقصورة في آخرها من أشهر المُدن الصَّوماليَّة القديمة التي لم يندرس اسمها إلى الآن . وكان هذا الاسم يُطلق سابقاً على :

- 1- أمة كبيرة وقبائل كثيرة في بلاد المغرب .
- 2- أمة في آخر بلاد اليمن بين أرض الحبشة والزنج وهي الواقعة في الصومال حالياً
- 3- سوق بربير من أوساط الفسطاط في مصر ، نزلها قوم من بربير الغرب فسُمِّي بهم
- 4- وحكى أبو عبد الله الزَّهْرِي ، أنَّ الاسم يُطلق على قبيلة من جناوة ، تسكن غربي النَّيْل ، كان منهم أمير غانة ، ويدينون بالنَّصرانيَّة . وهناك الآن بعض القرى التي تحمل هذا الاسم في فلسطين واليمن .

وقد تكرر اسم (بربرة) الصوماليَّة على ألسنة الرِّحالة والجغرافيين والمؤرِّخين المتقدِّمين على الصعيدين الإسلامي والغربي ، لكونها قاعدة رئيسية لشعوب المنطقة - الصوماليين - ، وخاصة المناطق الشماليَّة⁽⁴⁾.

كما ذاع صيتها منذ عهود قديمة ، وانتشرت مُخرجاتها في البقاع المُجاورة ، وورد ذكرها في الأشعار الجاهليَّة قبل الإسلام ، كقول امرئ القيس واصفاً فرسه في قصيدته التي نظم سببها حين توجَّه إلى قيصر مستجداً به على ردِّ ملكه إليه والانتقام من بني أسد

(4)د/محمد مختار العرابوي: هل كلمة البربر شرقية عربية، مجلة اللغة العربية، عدد 25، 260-262

على لاحب لا يهتدي بمناره إذا ساقه العود النَّبَاطِيَّ جرجرا
على كلِّ مقصوص الذَّنَابِيَّ معاود بريد السُّرَى بالليل من خيل بربرا
قال الأعم الشنتمري في شرح ديوان امرئ القيس : " وخص خيل بربر لأنها كانت أصلب
الخيال عندهم وأجودها "

وفي قصيدة أخرى له :

وبعد أبي في حصن كندة سيِّداً يسود جُموعاً من جيوش وبربرا
ويغزوا بأعراب اليمانيين كلهم له أمرهم حتى يُحلَّ المُشَقَّرَا
ومع أن اسم (بربرا) يُطلق أيضاً على أمم أخرى - كما أسلفت الإشارة إليه - إلا أن الدالَّ
على مقصود امرئ القيس نصان :

أولهما لأبي الحسن ابن سعيد المغربي حيث قال : " وبربرا قاعدة البرابر التي ذكر امرؤ
القيس خيلهم ، ورقيقهم مستحسن ، وقد أسلم أكثرهم فلذلك عُدوا في بلاد الإسلام " ، ثم تكلم
عن نيل مقديشوا وبعض الأماكن الأخرى التابعة لبربرا .

والثاني لابن خلدون ، قال في تاريخه : " وبربرا قاعدة البرابر التي ذكرها امرؤ القيس في
شعره وليسوا من البربر الذي هم قبائل المغرب .. "

وهذا ما ورد في حاشية ديوان امرئ القيس الصادر عن دار صادر ، عند شرحهم البيت
السابق ، قالوا : " بربر أمة بين الحبوش والزنج وكلهم من ولد قيس عيلان " ، ولم أقف على مصدر
المعلومة الأخيرة ، والصحيح أن البربر المنسوبين - عند بعض المؤرخين - إلى قيس عيلان هم
ساكنوا المغرب غرب النيل ، كما حكاه المسعودي في مروجہ وشيخ ربوة في نخبته
لما كان العرب الذين يرتحلون إلى بربرا لا يفهمون من كلامهم شيئاً أطلقوا عليهم : أهل
البربرة والبربرة الكلام السريع المسموع من غضب قائله .

ويلاحظ القارئ للمكتوب عن بربرا أن المؤلفين يختلفون في تحديد ما يُطلق عليه الاسم :

1- فبعضهم يطلقه ويقصد مدينة معينة في شرق أفريقيا ، أو في الحبشة - بالمصطلح القديم -
وأواخر اليمن ، انعكس اسمها على سائر المناطق المُجاورة لها ، وأنها قاعدة البرابر كابن سعيد
المغربي .

2- وآخرون يرومون منه جزيرة أو بلداً بين الحبشة والزنج واليمن على ساحل بحر اليمن
، متكوّناً من عدة مدن وقرى ، وهم الأكثر : كالمسعودي ، والحسن بن يعقوب الهمداني ، والحموي
، والبيروني ، والإدريسي، وابن خلدون ، والبكري ، والمقريزي ، وبامخرمة ، وابن سباهي زادة ،
والحسني ، وغيرهم.

ولعلّ أقدم من ذكر بلاد بربرة (الصوماليّة) من الجغرافيين المسلمين هو أبو محمّد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليمني (ت 336 هـ) وبعده مُعاصره الحسين بن علي المسعودي (ت 346هـ) خلافاً لما قاله محقق قسم شمال أفريقيا وبلاد السودان من كتاب أنس المهج للشريف الإدريسي ، من أنّ أوّل من ذكرها محمد بن أحمد المقدسي (ت381هـ) في أحسن النّقاسيم.

ومن الأوصاف والأخبار التي ذكرها المؤرّخون والجغرافيون عن بلاد بربرة (الصوماليّة

- لون بشرتهم السّوداء ، ولغتهم الخاصّة بهم.
- معيشتهم المبنية على صيد الوحوش كالزرافة ، والبيبر ، والكركدن ، والنمر ، والفيل ، وغيرها .

- صفة صيدهم : فقد كان عندهم نوعٌ من النّبت يشبه الخباز يجمعونه ويطبخونه ويستخرجون ماءه ثم يطبخونه حتى ينعقد ويصير كالزفت، فإذا أرادوا اختبار إحكامه جرح أحدهم ساقه فإذا سال دمه أخذ من ذلك السم قليلاً وقربه من الدم في آخر سيلانه فإن كان قد أحكم طبخه تراجع الدم يطلب الجرح فيبادر ويقطعه قبل أن يصل إلى الجرح، فإنه إن دخل في الجرح أهلك صاحبه، وإن لم يتراجع الدم عاود طبخه إلى أن يرضاه، ثم يجعل منه شيئاً في حقّ ويعلقه في وسطه ويكمن للوحش في شجر أو غيره فإذا رأى الوحش جعل على رأس نصله منه قليلاً ثم يرمي الوحش فحينما يخالط هذا السّم دمه يموت، فيجيء إليه فيأخذ جلده أو قرنه أو نابيه فيبيعه ويأكل لحمه فلا يضره

- قطع بعضهم مذاكير بعض ، وجعلها مهورة نسائهم
- سرقة بعضهم أولادَ بعض ، وبيعهم⁽⁵⁾!!
- إسلام أكثر أهلها ، وتباين قولهم في وصف رقيقهم : فحكى ابن سعيد المغربي أنّ رقيقهم كان مُستحسنًا في حين أورد المقدسي وأقرّه عليه الإدريسي أنّهم كانوا شرّ أجناس الخدم !! .
- سرعة العدو ، وعدم اغتنائهم بشيء سوى اللّبن واللحم ، وطيشهم.
- تمذهبهم بالشافعيّة والزّيدية ! .
- وقد ذكر المسعودي ووصف الخليج البربري أو بحر بربرا ، وأحوال العمانيين الذين كانوا يسافرون فيها ، وممّا ذكر أنّ الأردنيين من عرب عمّان كانوا إذا توسّطوا فيه وحقّتهم الأمواج يرتجزون قائلين :

بربري وحفوني وموجك المجنون حفوني وبربري وموجها كما ترى

(5) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي:معجم البلدان،مج1،دار صادر، بيروت، لبنان، 1977، 369-370

واستطرد المسعودي عرض حديثه عن ساحل البربر وقال : وله خليج متصل بارض الحبشة يمتد الي ناحية بربري من بلاد الزنج والحبشة، ويسمي خليج البربري ..

ويقول أيضا: وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج الي جزيرة قنلو من بحر الزنج، وفي هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزنجي ويزعمون (اهل المراكب) ان هذا الخليج البربري يعرفونه ببحر بربري وبلاد حافوني، واذا دخلوا في البحر وهاجت بهم الأمواج يرتجزون ويقولون بربري وحافوني وموجك المجنون حافوني وبربري وموجها كما ترى .

،وبعد قرنين من المسعودي نجد خبر بلاد البربر عند الإدريسي الذي عاش في القرن السادس هجري .

ويقول: ويتصل ارض الحبشة علي البحر ببلاد بربرة وهم تحت طاعة الحبشة .

ومن مدن الحبشة الساحلية مدينة زالغ (زيلع) ومنقونة واقنت وياقطي الي ما اتصل بها من عمارات قري بربرة، وكل هذه القري ميرتها مما يتصيده أهلها من السمك والألبان⁽⁶⁾

وكذلك ابن سعيد المغربي القرن السابع هجري) الذي جاء بعد الإدريسي بمائة وعشرين عاما وسلك نفس المسلك في تحديد مواقع المدن وحيثياتهم، لكن الجديد فيه ذكره بربرة احيانا كأنها مدينة حيث يقول: وبربرا قاعدة البرابر التي ذكر امرؤ قيس خيلهم، ورقيقهم مستحسن، وقد اسلم أكثرهم ولذلك لا أثر لهم في بلاد الإسلام، وهذه المدينة حيث الطول ٦٨ درجة والعرض ست ونصف .

ثالثا: مدينة زيلع

ومدينة زيلع صغيرة القطر كثيرة الناس والمسافرون إليها كثير، ويذكر أيضا بلدات اخري مثل: قلجون، التي في البرية مقابل زيلع، ومدينة اقنت التي ليست بكبيرة ولا بكثيرة الخلق وأكثرها خراب وأهلها قليل وأكثر اكلهم الذرة والشعير وسمكهم موجود وصيدهم كثير وعامة أهلها يعيشون من لحوم الصدف، ومن اقنت تأتي باقطي التي تبعد مسيرة خمسة أيام وهي مدينة صغيرة، ومنها على ثمانية ايام مدينة بطا وتتصل بها قري بربرة وأولها جوة وهي منها قريبة،ضمن إقليم الأول من

(6) الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مج1، جزء1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2002، ص ص48-49

ناحية الجنوب تقع مدينة قرقونة ومركة والنجا وهذه البلاد الثلاثة من ارض بربرة واليهما تنتهي عمالتها (7).

ومن جوة الي قرقونة يومان في البحر، ومن قرقونة الي برمة ثلاثة أيام ويبتدى منها جبل حافوني ويذكر صفة الجبل، وبعدها يقول: وتلي رؤس هذا الجبل بلاد صغار كالقري يقال لها الهاوية، ومن حافوني الي مركة علي الساحل ثلاث مجاري صغار وفي البر سبعة ايام ، وعلي مرحلتين من مركة في البرية واد يمد كمد النيل وعليه يزرعون الذرة، ومن مركة الي بلد النجا علي البحر يوم ونصف يوم وعلي البر أربعة أيام والنجا اخر بلاد بربرة .

ومن النجا الي قرنوة ثمانية ايام وهي مدينة صغيرة على البحر ومنها الي بذونة ستة ايام وهي قرية كبيرة مسكونة أهلة وأهلها يأكلون القانورات التي يعاف الناس أكلها وهذه الأرض تليها بلاد الزنج، قرنوة وبذونة أهلها كفار هما تتصلان ببلاد الزنج علي ضفة البحر الملح، كل هذه البلاد المذكورة تقابل اليمن في جهة الشمال (8).

ومما يثير الدهشة والاستغراب وصف الجغرافيين العرب للمدن ومواقعها، وترتيبها الجغرافي او المكاني وتبعيتهم او نسبتهم لبلد ما، تارة يلحقونهم للحبشة وتارة لبلاد البربر واخري للزنج .

من الصعب تحديد تاريخ انشاء المدن الساحلية، وامكانية ووجود مدن عامرة و أهلة بالسكان قبل الإسلام في الصومال، كل ما نعرف انه وجدت اتصالات تجارية بين الحضارات القديمة وبين سواحل شرق افريقيا، اما عن طبيعة هذه الاتصالات او ماهيتها هو محل نقاش .

وأشار المؤرخان ياقوت الحموي وعلي بن موسى بن سعيد المغربي إلى أن الصومال على مدار مائة عام امتدت من سنة 1150 وحتى سنة 1250 لعبت دوراً بالغ الأهمية في التاريخ الإسلامي باعتبار الصومال واحدة من أغنى الأمم الإسلامية في تلك الفترة. تقود هذا المجد سلطنة عدل، التي كونت إمبراطورية شاسعة امتدت من رأس قصير عند مضيق باب المندب وحتى منطقة هاديا بإثيوبيا. وانضمت سلطنة عدل تحت حكم سلطنة أوفات الإسلامية والتي بسطت ملكها على العديد

(7) محمد بن حامي الدين بن عبد الصمد الولوي البورني: انتشار الإسلام في الحبشة آثاره

وأبعاده، رسالة ماجستير، الدراسات الإسلامية، جامعة جنوب أفريقيا، جنوب أفريقيا ، 2015 ، ص ص 150-151

(8) د/زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، دار الرائد العربي للطباعة، بيروت ، لبنان، 1981، ص 147

من مناطق إثيوبيا والصومال، إلى غاية سقوط مملكة أوفات ثم واصلت مسيرتها باسم مملكة عدل، وازدانت المملكة بنهضة اقتصادية وحضارية بارزة.

وبحسب بعض المراجع ، فإن "الزيلة أو الصوماليون مغايرون وتميزون عما حولهم سواء من ناحية اللغة أو الدين أو العادات والتقاليد، فهم جميعًا مسلمون وتجمعهم تقريبًا وحدة الأصل والتاريخ، ويعتقدون أنهم ينتمون لسلالة معينة. ولذلك كان التمايز بينهم واضحًا مع جيرانهم سواء في بر الحبش (إثيوبي) أو في بر الزنج (كينيا وما وراءها)". هذا دون أن ننسى وجود اختلافات داخلية بين قبائلهم وفصائلهم. "فهناك قبائل الصومال وقبائل العفر (الدناكل) وقبائل الجالا والجماعات العربية، لكنها جميعًا تشترك في إطار الإسلام والثقافة الإسلامية.

ولم يجتمع هؤلاء الزيلة أو الصوماليون في مملكة واحدة بل توزعوا بين عدة ممالك لكل منها حاكمها، ولم تكن متحدة أو متعاونة في معظم الأحيان. ومع ذلك تركت هذه الممالك خلفها مظاهر الحضارة الإسلامية وفن العمارة وتاريخًا ممتدًا في فنون التجارة والصناعة والعناية بالثروة الحيوانية.

كما برز معها عدد من العلماء والأدباء الأعلام، منهم المؤرخ المشهور عبد الرحمن الجبرتي (1168 هـ، 1754م) والإمام العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله بن يوسف الزيلعي (762 هـ) والذي من أشهر مؤلفاته (نصب الزاية لأحاديث الهداية) في أربع مجلدات، اعتنى به كبار العلماء منهم قاسم بن قطلوبغا (879 هـ) والحافظ ابن حجر العسقلاني (842 هـ) من بين أسماء أعلام أخرى كثيرة. واتبع أغلب سكان ممالك الطراز الإسلامي المذهب الشافعي واستمر انتشار هذا المذهب إلى اليوم في الصومال.